التوجيه الدلالي للتقديم والتأخير في سورة عبس

أ.م.د. احمد رجب حمدان

المقدمة

إنّ من الموضوعات المهمة في اللغة العربية موضوع التقديم والتأخير، فقد اعتنى بها علماء اللغة العربية والتفسير. وقد ذكر له بعض المهتمين به أبوابًا وفروعًا كثيرة جعلوا لها أسبابا في العدول عن أصلها[١]، ثم وجهوها الوجهة التي تصلح لها. وسوف نبينها في دراستنا لسورة عبس. ويظهر توجيه المعنى الدلالي للتقديم والتأخير مما تتضمنه الجملة أو المفردة ومن السياق إلى تركيب الجمل وما تعطيه اللفظة والجملة من معان حسب التركيب وما يعطيه من دلالات بتقديم أو تأخير للمفردة بنفسها أو للمفردة مع اختها المجاورة لها، أو المبينة لها أو المتناسقة معها، وذلك باعتبار الصفة والموصوف أو الحال والمؤكد أو الفعل والفاعل والفعل والمفعول أو المفعول الأول والمفعول الثاني أو المبتدأ والخبر لذا نجد (أن المعنى يتولد فقط من ترتيب الألفاظ والعبارات، ومعنى هذا أنّ لكل تركيب نظمه وترتيبه، ومواقع ألفاظه. والترابط في الكلام ووضع كل كلمة في مكانها المناسب من الجملة، من أهم مقومات البلاغة والبيان، وكثير من الكلمات لو قدمتها أو أخرتها عن محلها لتغير عليك المعنى الذي تريد، أو ضاع جماله ورونقه؛ لأنّ تقديم اللفظ وتحويله من مكان إلى آخر يغير المعنى. وتغيير المعنى بتقديم اللفظ، وتحويله عن مكانه، لا يكون جزافًا وعبثًا، وإنّما يتم وفق أسس وضوابط، وأغراض يقصد إليها المتكلم، فيقدم ما يريد التنبيه عليه والالتفات إليه، ويؤخر ما لم يُرِد فيه ذلك)[٢] ولولا هذا التركيب المتناسق في التقديم والتأخير لما ظهرت المعاني اللطيفة والدلالات الجميلة فبالتناسق اللفظي بالتقديم أو التأخير تتوارد وتتولد المعاني والدلالات في الجملة العربية وبخاصة في القران الكريم الذي وقف تركيبه معجزا وتخير الفاظه مبهرا كل في مكانه. وقد وجدت موضوعات التقديم والتأخير بارزة في سورة (عبس) إذ لم يجعل الله سبحانه وتعالى كلمة في مكان إلّا لمقصد وغاية. فقدم الله تعالى ما حقه التقديم، وأخر ما حقه التأخير. فلا يصلح تقديم ما أخره الله تعالى أو تأخر ما قدمه الله تعالى، ولا يتحقق التقديم والتأخير إلّا إذا تمت الجملة المفيدة بركنيها المسند والمسند اليه وجوداً أو تقديراً[٣] فائدة يحسن الوقوف عليه أو السكوت عنده. وهو على نوعين[٤]:

الاول: أنّ التقديم والتأخير يبقى على حالهما من حيث وضع أصل الجملة. فالفعل يتقدم على الفاعل والمفعول، والمبتدأ يتقدم على الخبر. واسم إنّ وكان وأخواتهما يتقدم على خبريهما. وهذا التقديم لم يجعله الله تعالى في السورة إلّا لأنّه لا يصلح أنْ تكون الجملة إلّا بهذا الأسلوب؛ لأجل الدلالة والتعبير المطلوبين[٥].

الثاني: أنْ يتقدم اللفظ على غير أصل وضعه في الجملة العربية كتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المفعول على الفعل والفاعل. وهذا التقديم مما يزيد الجملة معاني جديدة، أو لأولويته أكثر من غيره مما لو كانت على غير هذا الأسلوب فالتقديم والتأخير من الموضوعات المهمة في القرآن الكريم وأهميتها تظهر مما يعطيه التعبير من معان لا تظهر إلّا من خلال ذلك الأسلوب وهذه الصياغة. يقول ابن الزملكان: (اعلم أنّ هذا الفن مَنْ أهمل ضبطه فقد بعد عن التحقيق شأوه، وضعف عن إدراك المعنى الدقيق رأيه، وأغفل أصلاً عظيماً من علم البيان، وجهل جملاً من آي القرآن)[٦]. ومن هنا قسمت ما بدأت به على مبحثين، وتناولتهما على النحو الآتي: أمّا المبحث الأول فقد قسمته على ثلاثة مطالب. تناولت في الاول تعريف التقديم والتأخير عند علماء اللغة، ثم ذكرت ما كان متقدماً على أصل وضعه من حيث الوصف ثم ذكرت أمثلة في الوصف في سورة عبس مما يتعلق بموضوع التقديم.

وأمّا المبحث الثاني فقسمته على مطلبين وتحدثت في الأول عن التأخير والتقديم لما هو خلاف الأصل وهو تقديم المفعول على الفاعل والمفعول على فعله وتقديم الجار والمجرور على متعلقه وغير ذلك.أمّا المطلب الثاني فتناولت فيه موضوع تقديم الخبر على المبتدأ، وذكرت فيه ما قدم من وصف معنوي على آخر معنوي وله علاقة في المبتدأ والخبر.ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم ذكرت فهرستاً للمصادر، ثم فهرستاً للمواضيع والله أسأل أنْ يوفقنا لكل خير.

المبحث الاول: التقديم

المطلب الاول : التقديم وذكر بعض صوره في سورة عبس

التقديم: من قدّم؛ أي وضعه أمام غيره. والتأخير: نقيض ذلك والقُدمَة، والقَدم؛ أي السابقة في الأمر، ومنه قوله تعالى:﴿وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[٧] أي: سبق لهم عند الله خير، وَقدم فلان قومه؛ أي يكون أمامهم، وأقدم بمعنى تقدم، ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة، والقدم والقدمة: السابقة في الأمر، وتقدم كقدم. وقدم واستقدم: تقدم. وأخرته فتأخر، واستأخر كتأخر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾[٨]، [٩].فالتقديم والتأخير في اللغة متناقضان، حيث يعنى الأول بوضع

الشيء أمام غيره، وقد كان خلفه، ويعنى الثاني بوضع الشيء خلف غيره وقد كان أمامه. وبالمعنى نفسه انتقل هذا من الوضع اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية، إذ اعتاد العرب تقديم ما حقه التأخير لفضل دلالة وتمام معنى، وتأخير ما حقه التقديم للغرض ذاته، وذلك بجعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية، أو بعدها لعارض اختصاص، أو أهمية، أو ضرورة[١٠].ومن التقديم أن يكون لأجل المخاطب؛ أي أنّه هو المقصود بالحديث وهو المعني بالسياق وليس للاهتمام وما شابهه فقط. وهذا مما قدم في آية وأخر في أخرى خلافا لما هو باق على أصله أو قدم وأصل معناه على نية التأخير[١١].وفي هذا يقول سيبويه: (والظاهر أنهم يقدمون الشيء الذي شأنه أهم، وهم به أعنى، وإن كانا جميعا مهمين)[١٢] ويقول الثعالبي: إن (العرب تبتدئ بذكر الشيء والمقدم غيره، وفيه قال تعالى:﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[١٣])[١٤] والزملكاني (٦٥١ه) في التقديم والتأخير يقول: (فإحداث تغيير في بنية التركيب يأتي لتحقيق غرض جديد، يتعلق بالبنية الداخلية المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلم فأي تحول في مباني التراكيب يحدث تغييرًا في المعنى، حسب مقتضيات الظروف والمواقف والدوافع النفسية والشعورية لطرفي عملية الاتصال، المبدع والمتلقي)[١٥]. ولهذا وضع ابن جني بابا لموضوعات عدة وسماه بباب شجاعة العربية ومنها موضوع التقديم والتأخير[١٦]. وأطلق بعضهم على الجمل التي لا تراعي مبادئ النحو بالجمل الزائفة، وتعرف بأنها جمل (غير أصولية)؛ لأنّها انحرفت عن المبادئ التي تحدد القواعد الضمنية التي تقود عملية التكلم، مما يعرفه المتكلم باللغة بصورة لا شعورية، فهي غير مقبولة قواعديًا ولكنها معقولة دلالياً[١٧].وقد ذكر ذلك الطبري في تفسيره فقال في قوله تعالى: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[١٨]: أي قالوا جهرة أرنا الله فهو مقدم ومؤخر أي أنّ سؤالهم كان جهرة[١٩]. و(يدلك على عظمِ شأن النظم وتعلم به كيف يكون الإيجاز وما صورته، وكيف يزاد في المعنى من غير أنْ يزاد في اللفظ، إذ قد ترى أنْ ليس إلّا تقديم وتأخير، وأنّه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى، ما إنْ حاولته مع تَركه لم يحصل لك)[٢٠].لم يعرّف العلماء القدماء التقديم اصطلاحيا سوى أنّه أسلوب من أساليب البلاغة يأتون به (دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم)[٢١]. إنّ لتقديم الألفاظ بعضها على بعض أسبابا يقتضيها المقام وسياق القول، ويكون للعناية والاهتمام. فما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام. والعناية باللفظة قد تكون بحسب مقتضى الحال؛ ولذا كان لا بد أن تقدم كلمة في موضع ثم تؤخرها في موضع آخر؛ لأن مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذلك. والقرآن أعلى مثل في ذلك فإنّا نراه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام. فنراه مثلاً يقدم السماء على الأرض ومرة يقدم الأرض على السماء، ومرة يقدم الإنس على الجن ومرة يقدم الجن على الإنس، ومرة يقدم الضر على النفع ومرة يقدم النفع على الضر، كل ذلك بحسب ما يقتضيه سياق الحال.فإذا أردت أن تبين أسباب هذا التقديم أو ذاك فإنّه لا يصح الاكتفاء بالقول؛ أي إنّه قدم هذه الكلمة للعناية بها والاهتمام دون تبيين مواطن هذه العناية وهذا التقديم.فإذا قيل لك مثلاً: لماذا قدم السماء على الأرض هنا؟ قلت لأنّ الاهتمام بالسماء أكبر. ثم إذا قيل لك ولماذا قدم الأرض على السماء في هذه الآية؟ قلت لأنّ الاهتمام بالأرض هنا أكبر. فإذا قيل ولماذا كان الاهتمام بالسماء هناك أكبر وكان الاهتمام بالأرض هنا أكبر؟ وجب عليك أنْ تبين سبب ذلك وبيان الاختلاف بين الموطنين بحيث تبين أنّه لا يصح أو لا يحسن تقديم الأرض على السماء فيما قدمت فيه السماء أو تقديمُ السماء على الأرض فيما قدمت فيه الأرض بياناً شافياً. وكذلك بقية المواطن الأخرى.أمّا أنْ تكتفي بعبارة أنّ هذه اللفظة قدمت للعناية والاهتمام بها فهذا وجه من وجوه الإبهام. والاكتفاءُ بهذا يضيع معرفة التمايز بين الأساليب، إذ كل واحد يقول لك: إنّ عنايتي بهذه اللفظة هنا أكبر دون البصر بما يستحقه المقام وما يقتضيه السياق[٢٢]. (فثنائية التقديم والتأخير إذن ظاهرة لغوية بلاغية تعد من أبرز سمات المنهج الوصفي الذي يعول عليه في التركيب النحوي لتحديد المستوى الدلالي للجملة) [٢٣].إنّ فن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير، والذين أوتوا حظاً من معرفة مواقع الكلم.وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن الذروة في وضع الكلمات الوضعَ الذي تستحقه بحيث تستقر في مكانها المناسب. ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة. فنرى التعبير متسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات فهو لوحة فنية واحدة متكاملة.(إنّ القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك، كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة)[٢٤]؛ لذا يعد التقديم والتأخير متغيرًا أسلوبيًا في اللغة؛ لأنّه عدول عن القاعدة العامة وذلك بتحويل الألفاظ عن مواقعها الأصلية لغرض يتطلبه المقام، إذ يكون هذا العدول بمثابة منبه فني يعمد إليه المبدع ليخلق صورة فنية متميزة[٢٥].

والتقديم يكون لمعان منها التبرك والتعظيم وتقديم لأجل الفاصلة والتقديم للسبق وللمناسبة ولمقتضى السياق وتقديم للعلة والسببية، والتقديم والتأخير في تركيب جمل السورة وشبه الجملة لأجل الردع والزجر والعناية والاهتمام والحصر والاختصار.

وللألفاظ أزمنة وأمكنة لوضعها في مكانها المناسب لها وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني فقال: (وإذا كان الانسان بطبيعته البشرية يختلف أسلوبه تبعا لاختلاف حالاته الذهنية والعاطفية فيتخير كلماته التي تقال في حالة الرضا عن التي تقال في حالة الغضب، فيقدم في مقام ما يؤخره في مقال آخر، ويمهد لمقام ويدخل مباشرة فيما يريده في مقام ثالث ليرتقي ذلك الأسلوب عند الأدباء فيصاغ بأسلوب أدبي، ولكنّه في الحالة الذهنية والعاطفية لا يخرج عن أسلوب الآخرين في مجمله، فأقدر الناس على التعبير عن العواطف الإنسانية هم أهل الأدب، الذين تميزوا عن الناس بتلك الموهبة التي جعلتهم يصوغون الأحاسيس والأفكار في القوالب الفكرية التي اختاروا لها كلماتهم بعناية فائقة لتكون خير وسيلة لتوصيل ما يريدونه إلى المتلقي)[٢٦].وقد أشار أهل اللغة إلى هذا التخيّر للألفاظ وحسن مواضعها التي توضع فيها ولا يصلح مكانها غيرها إذ التركيب العربي الفصيح لا يجتمع الحسن فيه مع الذوق الرفيع إلّا إذا تركب بقوانين العرب الفصحاء، ومنها التقديم والتأخير في الالفاظ والجمل العربية. يقول السيوطي: (وعلى الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره النظر في الكلمة أو صيغتها ومحلها، ككونها مبتدأ، أو خبرا أو فاعلاً أو مفعولاً أو في مبادئ الكلام أو غير ذلك، ويجب عليه مراعاة أمور)[٢٧].ويقول الجرجاني في التقديم والتأخير على الأصل والذي سماه بالتقديم الطبيعي (هو كون الشيء الذي لا يمكن أنْ يوجد آخر إلّا وهو موجود، وقد يمكن أنْ يوجد هو ولا يكون الشيء الذي لا يمكن أنْ يوجد آخر إلّا وهو موجود، وقد يمكن أنْ يوجد هو ولا يكون الشيء الآخر موجداً، وإلّا يكون المتقدم عليه للتأخر، فالمحتاج إليه إنْ استقل بتحصيل المحتاج كان متقدماً عليه تقدماً بالعلة، كتقدم حركة اليد على حركة المفتاح، وإنْ يستقل بذلك كان متقدماً عليه بالطبع كتقدم الواحد على الاثنين، فإنّ الاثنين يتوقف على الواحد، ولا يكون الواحد مؤثراً فيه)[٢٨].ومما ورد من تقديم أو تأخير في سورة عبس وكان له الصدارة لصياغة تعبيرية خدمة للمعنى وتوجيهه في القرآن الكريم هو:**تقديم الجمل في الأصل:**

تقديم الجملة الفعلية (عبس) على جملة (تولى):

تقديم جملة (عبس) الفعلية على جملة (تولى) الفعلية أيضاً، قال تعالى:﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾[٢٩] فقدم العبوس وأخر لفظ التولي؛ لأجل إظهار عدم الرضى على ما تصرف به ابن ام مكتوم. وإذا ما علمنا ذلك فان صورة العبس تظهر عدم الرضى اولاً ثم يأتي بعدها الانصراف وعدم الانتباه. وان مما يدعو إلى تقديم العبوس على التولي ان العبوس دائماً يكون في بداية كل امر غير مرغوب فيه خلافاً للتولي الذي يكون بعد العبوس وبعد عدم الرضا، لذا جاء تقديم جملة (عبس) على جملة (تولى).ومنه أيضاً ان العبوس قد يكون عند المواجهة بين شخصين أو لفكرة طارئة في ذهن العابس أو لخبر يُكْرَهُ، وهو خلاف للتولي الذي يحدث بعد المواجهة التي تدعو إلى الذهاب والانصراف. وذهب ابن عاشور إلى ان العتاب كان على العبوس والتولي معاً، لا على ما خصّ بذلك من المبادرة بالدعوة وتأخير الإرشاد، وعلل ذلك بقوله: (لأن المقام الذي اقيمت فيه هذه الحادثة تقاضاه ارشادان لا محيص من تقديم احداهما على الآخر، وهما: ارشاد كافر إلى الاسلام عساه ان يسلم. وارشاد مؤمن إلى شُعب الاسلام عساه ان يزداد تزكية)[٣٠]. وذكر أيضاً ان (صيغة الخبر المستعملة في العتاب على الغفلة عن المقصود الذي تضمنه الخبر وهو اقتصار النبي (ﷺ) على الاعتناء بالحرص على تبليغ الدعوة إلى من يرجو منه قبولها مع الذهول عن التأمل فيها يقارن بذلك من تعليم من يرغب في علم الدين ممن آمن، ولما كان صدور ذلك من الله لنبيه (ﷺ) لم يشأ الله ان يفاتحه بما يتبادر منه أنه المقصود بالكلام، فوجهه اليه على اسلوب الغيبة ليكون اول من يقرع سمعه باعثاً على ان يترقب المعنيَّ من ضمير الغائب فلا يفاجئه العتاب، وهذا تلطف من الله برسوله (ﷺ) ليقع العتاب في نفسه مدرجاً وذلك أهون وقعاً، ونظير هذا قوله تعالى:﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾[٣١]. قال عياض: قال عون بن عبد الله السمرقندي: أخبر الله بالعفو قبل أن يخبره بالذنب حتى سكن قلبه)[٣٢].

تقديم التزكية على التذكير:

قال تعالى: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ ﴾[٣٣] قدم الله تعالى التزكية على التذكير إذ لا بد لمن اراد ان يتعلم أو يحفظ شيئاً في ذهنه ان يُفرِّغ نفسه وعقله من كل مشاغل الحياة لاستقبال ما يريد استقباله. فلا ينفع التذكير للإنسان المنشغل قلبه. حيث كان الفات الله تعالى لنبيه (ﷺ) إلى عدم الاهتمام بالمعاندين؛ لأن قلوبهم منشغلة ومتلهية بالكفر. وحتى تصغى عقولهم وتصفى نفوسهم لا بد من إخراج ما كان فيها من أفكار ضالة ومعتقدات كاذبة. فإن تزكت النفوس وصفت كابن ام مكتوم نفع حينئذ التذكير. قال الزمخشري:

(والمعنى: أنك لا تدري ما هو مرتقب منه من تزك أو تذكر، ولو دريت لما فرط ذلك منك، وقيل الضمير في لعله للكافر)[٣٤]. والضمير هنا عائد للكافر لِما تقتضيه الآية في سياقها فاذا كان الضمير للكافر في لفظ (لعله) يكون المعنى: (وما يدريك ما طمعت فيه كائن)[٣٥]. وكل ذلك جائز لعدم وجود ما يعارض النص أو يعارض في التحليل والتوجيه.

تقديم الاستغناء على الساعي:

قال تعالى: ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾[٣٦]. فقد قدم هنا المستغني؛ لأنه كان صاحب الاهتمام عند النبي (ﷺ) على من أهمله. فكان الانكار من عند الله تعالى على الاهتمام بالمستغني. والمطلوب هو الالتفات والاهتمام بكل من جاء يسعى لمعرفة الحق أو للاستماع إليه خشية فوات الوقت في التوبة ومعرفة الحق على ذلك الساعي.

المطلب الثاني: صور من التقديم وابقاؤه على الأصل

تقديم الخلق على التقدير:

قال تعالى:﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾[٣٧] لما خلق الله تعالى الخلق قدر له سبيل كل شيء في الوجود والتصوير والحياة وغيرها. ولولا ذلك التقدير لما كان في الخلق من عبرة وحكمة وغاية؛ لذا حينما خلق الله تعالى الإنسان قدر له بداية خلقه وسبيل وجوده ثم انقضاء أجله[٣٨]. والخلق هو بداية الوجود الاختباري. وأمّا التقدير فإنّه يكون تبعا متتاليا بعد الخلق؛ إذ إنّهما متعلقان بعضهما بالآخر.

تقديم تيسير السبيل للإنسان على الموت والنشر:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ ﴾[٣٩] فلا يصلح هنا ان يُقدم الموت قبل الاختبار؛ لأن الصانع لما صنع بيده صنعته واوجدها لا محالة ان للصنعة غاية، وان الغاية تحتاج إلى وقت والله تعالى خلق فسوّى. فلا بد من استعمال هذا الخلق للغاية الكبرى التي خلقه لها من عبادة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر فلا بد للإنسان من أن يوظف طاقاته في الخير.

وبعد ذلك الاختيار جعل الله تعالى يوماً يحاسب فيه الإنسان على ما قدم من خير أو شر. وفي النتيجة لا بد من تقديم الحياة للاختبار على يوم الحساب بعد الموت، ثم يأتي النشر بعد ذلك متسلسلاً بعد الموت قال تعالى:﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾[٤٠]. وهذا أمر لا بد من إيقائه على أصله لأنهما متأصلان متتابعان لا ينفك أحدهما عن الآخر.**ومن تقديم الأصل: تقديم صب الماء على البذر:** قال تعالى:﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ ﴾[٤١].قد قدم الله تعالى صب الماء هنا قبل البذر؛ لأن عادت الزراع لا يبذرون قبل سقي الارض لأسباب: إما لأن الارض يابسة فتحتاج إلى ترطيب لأجل أن تحرث حرثاً جيداً بسهولة ويسر. واما لأن الناس تخشى الجفاف فإذا نزل الماء كثيراً استبشر الزراع بكثرة الماء فيأملون الخير أكثر من غيره؛ لذا كان تقديم صب الماء هنا على الحرث وشق الارض للاستبشار، والأمل في النتاج أكثر، وللإعادة والتكرار في الزرع **تقديم الحب على غيره من المحاصيل:** قال تعالى: ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ ﴾[٤٢].وقدم الحب على غيره في الزراعة والانبات لأن أصل عيش الإنسان هو الحب، فقدم ما هو طعام ومقدور عليه ويستطيع أغلب الناس الحصول عليه على ما هو من نوع الفاكهة وليس بمقدور كل إنسان أن يحصل عليه.

وأما تأخير غير الحب على الحب فهو مسلسل في ترتيب خيرها ونفعها للإنسان على غيره. وايضا كان من أسباب هذا الترتيب هو ما يحتاج إلى الماء أسرع من غيره كي ينضج بسرعة.فالحب لا يدوم أكثر من أشهر معدودة لإنباته ثم نضوجه وتتمة ثمره في هذه الاشهر المعدودة ثم حصاده وجنى ثمره وانتهاء وجوده.وهذا كله من حيث الترتيب مع المحاصيل الأخرى تختلف في استخدام الماء الذي يسقى به. فإن الحَبَّ يسقى من الماء المخالط للتربة العليا. أما العنب والقضب والزيتون والنخيل فهو يسقى من الماء المخالط للتربة العليا، والسفلى في أعماقها؛ لذا كان الصنف الثاني أكثر تحملاً من غيره على العطش؛ لأن عروقه ممتدة طولاً في أعماق الارض، فكان تقديم الحب هنا على العنب والزيتون من باب التسلسل في الأول للذي يحتاج إلى الماء على غيره؛ ولذا تأخر النخيل.ثم بعدَ ذكره تعالى لأنواع من المزروعات التي تكون بعضها منفردة ذكر الحدائق الكثيفة فقال: ﴿ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ ﴾ فذكر الحدائق التي يتمتع بها الإنسان في حياته خاصة الكثيفة منها؛ لأنها تحافظ على خضرتها اكثر من غيرها؛ لذا كان ذكرها بعد ما هو اصل لحياة الإنسان؛ لان الطعام لديمومة الحياة وان الحدائق لترفيه الإنسان. فقدم هنا ما هو أصل في استعماله للإنسان على ما هو ترفيهي له.

تقديم الفاكهة على الأب: قال تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢ ﴾[٤٣]. ومن تقديم الأصل تقديم (الفاكهة) التي تختص

بالإنسان ويتناولها لعيشته على (الأب) الذي يختص بالحيوان ليتناسب مع تأخير الانعام على الضمير (لكم) العائد إلى الناس.

وذكر ابن عاشور أن من أسباب تأخير(الأب) على غيرها هو لرعاية الفاصلة[٤٤]. ثم ذكر أن هذا كله (متاعاً) إلا أنّه للإنسان قبل الحيوان إذ لا يستقيم التعبير في وجود الأنعام ما لم يوجد من خُلقت له. وأيضاً كي يتناسب السياق القرآني؛ قدّم ما يتغذى عليه الإنسان على ما يسمن به الحيوان. وبما أن الأنعام متأخرة فلا بد أنّ كل متبقيات الطعام لها إن كان من طعامها الرئيس أو الفضلات المتبقية من طعام الإنسان.

تقديم الانسان على الانعام: قوله تعالى: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[٤٥] تقدم هنا لفظ الانسان المشار اليه بالضمير (لكم) على الانعام المشار اليه في قوله (ولأنعامكم) لان كل ما موجود من دواب فقد سخرها الله تعالى للإنسان من حيث الطعام أو الخدمة والمتاع. ولما جاء قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾[٤٦] الى قوله تعالى: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[٤٧] ناسب تقديم (لكم) على الانعام في قوله تعالى: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[٤٨]. وهذا بخلاف تقديم الأنعام في قوله تعالى: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾[٤٩] فلأنه تقدم ذكر الزرع في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾[٥٠]، فناسب تقديم الأنعام[٥١].

المطلب الثالث: صور من التقديم على الأصل

تقديم الموصوف على الصفة:

ومن تقديم الأصل قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ ﴾[٥٢]، ومما يتعلق بالتقديم من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ ﴾ ونستطيع ان نقول ان التقديم هنا جاء بتقديم الموصوف على الصفة. فقدم الموصوف على الصفة لإتمام الوصف في الموصوف أو لبيان الحالة التي يريد ذكرها ووصفها في الموصوف.وجاءت الصفة هنا لبيان الوصف الذي يحمله الموصوف وهي ان الصحف مكرمة، وأيضاً مرفوعة مطهرة[٥٣]. وجاءت بهذا الوصف تعريفاً لمن في ظنه أنّ لهذه الصحف اهتماماً واضحاً من خلال الوصف.ومثله قوله تعالى:﴿ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦ ﴾[٥٤] فوصف الله تعالى حملة الصحف وهم الملائكة بانهم كرام بررة؛ لكي يكون هناك رقي للموصوف، ولإعلاء شأنه[٥٥].**ومن التقديم: تقديم المبتدأ على الخبر على الاصل:** قال تعالى:﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾[٥٦] قدم الله تعالى شأنه ضمير المبتدأ على الخبر للاختصاص (وانما اخذ الاختصاص من تصدير الجملة بضمير المخاطب وجعله مبتدأ مخبراً عنه وهو كثير ما يتلقى الاختصاص من ذلك)[٥٧].ومثله قوله تعالى: ﴿ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴾[٥٨] قال الزمخشري: (فان قلت قوله: (فأنت له تصدى، فأنت عنه تلهى) كان فيه اختصاص؟ قلت: نعم، ومعناه إنكار التصدي والتلهي عليه؛ أي مثلك خصوصاً لا ينبغي له ان يتصدى للغني، ويتلهى عن الفقير)[٥٩]. فصارت بمعنى انت لا غيرك تتصدى له؛ أي ذلك التصدي لا يليق بك)[٦٠].

وقد بُني الكلام على ضمير المخاطب الظاهر؛ لأجل تقوية انكار التصدي والتلهي عليه[٦١]. وهي على تقدير: تتصدى له تصدياً، فانت تحرص على التصدي له فمناط العتاب هو التصدي القوي[٦٢]. فيكون معنى قوله تعالى: ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴾ هو: (مهما يكن الذي استغنى فانت له تصدى فجعل مضمون الجواب وهو التصدي له معلقاً على وجود من استغنى ملازماً له ملازمة التعليق الشرطي على طريق المبالغة)[٦٣].

تقديم المبتدأ مع وصفه على مبتدأ آخر مع وصفه:

قال تعالى:﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١ ﴾[٦٤] فإن قوله تعالى:﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ ﴾ قُدِّمَ على قوله:﴿ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴾ فقدم هنا وجوه أهل النعيم المتكونة من المبتدأ والخبر على وجوه أهل الجحيم ووصفها؛ (لأن هذه السورة اقيمت على عماد التنويه بشأن رجل من أفاضل المؤمنين، والتحقير لشأن عظيم من صناديد المشركين. فإن حظ الفريقين مقصوداً مسوقا اليه الكلام، وكان حظ المؤمنين هو الملتفت اليه ابتداء، وذلك من قوله: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ الى آخره، ثم قوله:﴿ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ ﴾) [٦٥].

تقديم الفعل على الفاعل:

قال تعالى:﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾[٦٦] جاء هنا تقديمان: الأول تقديم الفعل على الفاعل وهو الأصل قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ فان الجملة فيها تنبيه الى (من جاء؟) فإذا قيل (فإذا جاءت) فسينتبه الغافل ويقول: ما الذي جاء؟ فيُقال له: جاءت الصاخة. فيتنبه حينذاك ويفوق من سكرته. فيومها يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه. وأنه ما فر حتى جاءت الصاخة، فقدم مجيء الصاخة على الفرار.

تقديم بعض الاسماء على بعض:

والتقديم الثاني هو تقديم الأخ على الأم، والأم على الأب، والصاحبة على الابن و(المراد: أن الذي كان المرء يفر اليهم في دار الدنيا ويستجير بهم، فإنه يفر منهم في دار الآخرة. وذكروا في فائدة الترتيب كأنه قيل: (يوم يفر المرء من أخيه) بل من أبويه، فإنهما أقرب من الأخوين، بل من الصاحبة والولد؛ لأن تعلق القلب بهما أشد من تعلُّقه بالأبوين ثم لما ذكر الفرار أتبعه بذكر سببه فقال تعالى:﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴾[٦٧]) [٦٨]. فكان سبب فرار هؤلاء من بعضهم البعض؛ (لأنهم أخص القرابة، وأولاهم بالحنو والرأفة، فالفرار منهم لا يكون إلّا لهول عظيم وخطب فظيع)[٦٩].وذكر بعض العلماء أن الله تعالى (أراد أنْ يذكر بعض ما هو مطيف بالمرء في الدنيا من أقاربه في طرفي الصعود والنزول فبدأ بطرف الصعود؛ لأن تقديم الأصل أولى من تقديم الفرع وذكر أولاً في كل من الطرفين مَن هو معه في درجة واحدة وهو الأخ في الأول والصاحبة في الثاني على أنّ وجود البنين موقوف على وجود الصاحبة فكانت بالتقديم أولى)[٧٠].

تقديم لفظ (كلا) لصدارتها في الكلام:

قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ ﴾[٧١] فقدم لفظ (كلا) التي تفيد الزجر على جملة ﴿ لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ التي تتعلق بها. وقدمت هنا (في صدر الكلام لإبطال الواردة ولإبطاله للاهتمام بمبادرة الزجر)[٧٢]. ومثله قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾[٧٣].

المبحث الثاني: التأخير

المطلب الاول: التأخير وبعض صوره في سورة عبس

التأخير لغة: (الهمزة والخاء والراءُ أصل واحد إليه ترجع فروعه وهو خلاف التقدُّم ... عن الخليل فإنه قال: الآخِر نقيض المتقدّم. والأُخرُ نقيض القُدُم. تقول مضى قُدُماً وتأخرَ أُخُراً)[٧٤].التأخير: (تأخير ما حقه التقديم): وهو وضع الشيء خلف الشيء[٧٥] ومن صور التأخير ما حقه التقديم هو:

تأخير الفاعل عن المفعول:

قال تعالى:﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾[٧٦] قدم الله تعالى هنا المفعول وهو الضمير الملحق بالفعل (جاءه) على الفاعل وهو (الاعمى)[٧٧] ليشعر بمسؤولية المتصدر للدعوة؛ أنْ يجعل أمره أسرع في الاقبال على الذي يطلب الهداية.

ومن تقديم المفعول على الفاعل قوله تعالى:﴿ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾[٧٨] ولكي يتحقق المصير المحتوم تأتي صفة الموعود به للكافرين؛ فقدم المفعول وهو (ها) الضمير من قوله تعالى: ﴿ تَرۡهَقُهَا ﴾؛ ليتحقق الارهاق والتعنيف للكافرين قبل أنْ يعرف الكافر بماذا سيرهق أو يعاقب، وهو الأصل، إنْ وُجِد (القتر) أو لم يوجد، أو كان الارهاق بالقتر أو بغيره. فالأول تحقيق الذل والهوان النابع من الارهاق ثم يتحقق العقاب المقدر للمصير.والتقديم هنا جاء لتعجيل الاساءة ثم يأتي بعدها القتر الذي وعد الله به الكافرين، وهو السواد الذي كالدخان[٧٩].

تأخير الفعل عن المفعول:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾[٨٠] فان الأصل هو: يسر له السبيل. قال الفراء: (معناه: ثم يسره للسبيل، ومثله: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾[٨١]؛ أي: اعلمناه طريق الخير، وطريق الشر)[٨٢]. وجاء التقديم هنا للاهتمام والفاصلة. أما الاهتمام فلأن السبيل هو وسيلة الإنسان في الحياة، وأما الفاصلة فلكي يتلاءم آخر حرف من الآية وهو (الهاء) مع نهاية الآيات السابقة واللاحقة. علماً أنّ الفاصلة هنا جاءت لغايات أخرى سوف نذكرها في بحث الفاصلة وغايتها[٨٣].

تأخير الفعل اللازم عن الجار والمجرور (المتعلق به):

قال تعالى:﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾[٨٤] فقدم الجار والمجرور (له) على متعلقه الفعل (تصدى) للاهتمام بالمتقدم وهو الضمير المتصل بحرف

الجر (له) والمعنى: أن حرصك لاستغلال الفرصة والوقت مع من تكون لهم الكلمة مسموعة في الناس دَعَاكَ إلى الاهتمام والتصدي لهم أكثر من غيرهم من أمثال من جاءك يسعى، والأولى اهتمامك بالسامع لك أكثر من غيره ومثله قوله تعالى ﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾[٨٥] قال الزمخشري: (ومعناه: إنكار التصدي والتلهي عليه؛ أي مثلك خصوصاً لا ينبغي له أنْ يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير)[٨٦].

تأخير الفعل المتعدي عن الجار والمجرور (المتعلق به):

ومن تقديم الجار والمجرور على متعلقهما: قال تعالى:﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ ﴾[٨٧] قال ابن عاشور: (وقدم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ ﴾ محاكاة لتقديم المبيَّن في السؤال[٨٨] الذي اقتضى تقديمه كونه استفهاماً يستحق صدر الكلام، مع الاهتمام بتقديم ما منه الخلق، لما في تقديمه من التنبيه للاستدلال على عظيم حكمة الله تعالى. إذ كوّن ابدع مخلوقٍ معروف من أهون شيء وهو: النطفة)[٨٩].

ومن حسن عدم تقديم المتعلق وعدم تأخير الجار والمجرور انما لم يستغن عن إعادة فعل خلقه في جملة الجواب مع العلم به بتقدم ذكرٍ حاصله في السؤال لزيادة التنبيه على دقة ذلك الخلق البديع[٩٠].

تأخير المبتدأ عن الخبر:

قال تعالى:﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[٩١] وهنا قُدم الخبر على المبتدأ في الآية فقوله (لكل امرئ) خبر قُدم على المبتدأ (شأن) ليأتي تنكير (شأن) الدال على التعظيم؛ لأن العرب لا يبتدئون بالنكرة في جملتها إلا بمسوغ من مسوغات عَدّها النحاة بضعةَ عشر مسوغاً، ومنها تقديم الخبر على المبتدأ إذا كان جارا ومجرورا [٩٢].

المطلب الثاني: صور من التأخير

ومن التأخير تأخير الاستبشار على الضحك: قال تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[٩٣] فقد ذكر الاوصاف التي سيكون عليها المؤمنون تشجيعاً وتحفيزاً لهم ولرفع همتهم واعطائهم الصورة التي تجعلهم يتسابقون بها إلى مرضاة الله تعالى. فكان التقديم هنا لزيادة الهمة والتحفيز إلى فعل الخيرات. ومن لطيف التعبير في التقديم هنا أنّ وجوه المؤمنين مسفرة واضحة لا غبار يغطيها ولا ذل يرهقها ويخفي ابتسامتها ثم هي (مشرقة مضيئة)[٩٤] ضاحكة فلا يصح أنْ تكون مستبشرة وهي لا تضحك؛ لذا تقدم هنا الضحك على الاستبشار مبالغة في الفرح. وكأنها تعلم مصيرها لذا استبشرت وضحكت فرحاً وسروراً.والاصل في الترتيب ان يستبشر الإنسان اولاً ويعلم أنْ هناك ما صار سبباً لضحكه فبعد ما علم أنّه من أهل السرور والبشرى ضحك وإلّا لما كان لضحكه سبب فيصبح كالمجنون الضاحك. فلا مجال للضحك بدون بشرى في ذلك الموقف المهيل العصيب.وربما أخر الاستبشار مع أنّه هو الدافع إلى الضحك؛ لأنّه لا يظهر على هيئة الإنسان وإنّما الذي يظهر هو الضحك؛ لذا قدم الضحك وأخر الاستبشار.وقدم الاسفار؛ لأنّ الإنسان إذا ما جاءه ما يسره ضحك لأجله، وأعلم غيره بالبشرى ذلك بالإسفار عن وجهه وضحكه فرحاً أمام أقرانه.

تأخير الوجوه التي ترهقها قترة على الوجوه التي تعلوها غبرة:

ومثله في الموضوع السابق من التأخير وما يقابله في اللفظ قوله تعالى: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾[٩٥] فوصف هنا أولئك الناس الكفرة أنّ حالهم ستكون مغبرة ومرهقة (يعلوها سواد كالدخان)[٩٦] فجاء الوصف هنا بتقديم الوجوه المغبرة على الوجوه التي عليها قتر وهي مرهقة ليُحذِّر المؤمنين من هذه الحالة لو عصوا الله تعالى. وهي أيضاً وعيد للكافرين بأنّ هذه حال من كذب وأنكر وعصى.

تأخير وصف الفجرة عن وصف الكفرة:

ومن التقديم قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾[٩٧] فقدم الكفر على الفجور علماً أنّ الفجور هو من صفة الكفرة إلّا أنّه ذكر الوصف (الفجور) واخره بعد (الكفر)؛ لأنّ المقام هنا مقام كفتين (الايمان أو الكفر) فأشار بأولئك إلى الكفرة؛ إلى ما يكون به تحقيق المصير ثم يذكر بعض أوصاف أولئك الكفرة أنّهم فجرة بالغون في الفجور.ولو قدم الفجور على الكفر لظن ظان أنّ بعض المؤمنين منهم؛ لأنّ لفظ (الفجور) يوصف به بعض المؤمنين.ومن أسباب تقديم الكفر وتأخير الفجور: أنّه (أتبع وصف (الكفرة) بوصف (الفجرة) مع أنّ وصف الكفر أعظم من وصف الفجور لما في معنى الفجور من خساسة العمل فذُكر وصفان هما الدالان على مجموع فساد الاعتقاد وفساد العمل)[٩٨].

الخاتمة

الله تعالى أحمدُه حمدا يوافي نعمته التي لا تحصى، الذي مَنّ من غير اكتراث لما عملنا، وفضله أتم من غير حاجة لأعمالنا وما قدمنا. فهو صاحب الفضل والمنة في إتمام كتابة هذا البحث، وما توصلت اليه من نتائج لموضوع التقديم والتأخير في سورة عبس.

التقديم والتأخير في سورة عبس جاءت بأساليب لا يلتفت لها إلّا من صوب الله تعالى نظره في اللغة العربية وبخاصة موضوع اللغة ودلالتها؛ إذ إنّ لكل لفظة أو جملة صورته الفنية التي تضفي إلى السورة دلالة المعنى من جمال الذوق، وحسن التعبير. ولما نعلم أنّ التقديم والتأخير جاء بأسلوب لا يصلح أنْ يحل تقديم مكان تأخير أو العكس، وأنّ من أهمل معناه، وسبب اختياره لهذا المقام فقد أهمل علماً لا تستقيم دلالته القرآنية إلا به. وان من فَقَدَ علم التقديم والتأخير فَقَدْ شيئاً عظيماً تختل بسببه فصاحة اللسان وتذهب من خلاله غاية المعنى القرآني.

هوامش البحث

(١) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ص١٣١-١٣٢، التقديم والتأخير في القران الكريم، قسطاس إبراهيم النعيمي، ص٢.

(٢) التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم: بلاغته ودلالاته، م/٣٧، العدد: ٢، ٢٠١٠، ص٤٢٤.

(٣) ينظر: الكتاب: ١/٧، شرح ابن عقيل: ١/١٤.

(٤) ينظر: دلائل الاعجاز: ٨٣، الطراز: ٢/ ٥٦، معجم المصطلحات البلاغية: ٢/ ٣٢٥، ٣٥٦.

(٥) ينظر: التبيان في علم القرآن: ١٤٧ – ١٤٨ .

(٦) التبيان في علم القرآن: ١٠٥.

(٧) سورة يونس: الآية/ ٢.

(٨) سورة الحجر: الآية/٢٤.

(٩) ينظر: العين، ١٢٢/٥، معجم مقاييس اللغة:٦٥/٥ــــ٦٦، وأساس البلاغة، مادة قدم وأخر، لسان العرب، مادة قدم وأخر: ٢/ ٣٢٥.

(١٠) ينظر: الإكسير في علم التفسير، عبد الكريم الطوفي، ص١٨٩.

(١١) ينظر: البرهان للزركشي، ٣ /٢٣٨ــــ ٢٧٥، و٣/ ٢٧٥، ٢٨٣.

(١٢) الكتاب لسيبويه: ١/١٥.

(١٣) سورة آل عمران: الآية/ ٤٣.

(١٤) فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي: ٨.

(١٥) البرهان الكاشف: ٢٩٠. أثر الترجمة في أسلوب التقديم والتأخير في القرآن، م/١٧، ع/٢، ٢٠١٠، ١٤٤.

(١٦) ينظر: الخصائص: ٢/٣٦٠.

(١٧) ينظر: جوانب من نظرية النحو، نوم جومسكي، ٣٥.

(١٨) سورة البقرة: الآية/ ١٥٣.

(١٩) ينظر: جامع البيان للطبري، ١٦/ ١٦٣.

(٢٠) دلائل الإعجاز للجرجاني: ٣٨٨.

(٢١) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٢٣٣.

(٢٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٢٣٣.

(٢٣) جوانب من نظرية النحو، نوم جومسكي، ٣٥.

(٢٤) التقديم والتأخير في سورة البقرة،: ١٤٣٢هـ .

(٢٥) ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب: ٢٠٠، وأثر الترجمة في أسلوب التقديم ع/٢، ٢٠١٠، ١٤٣.

(٢٦) دلائل الاعجاز: ٨٠، وينظر: دلالات التقديم والتأخير في القران الكريم دراسة تحليلية، ص٢١.

[٢٧] الاتقان، ٣/٣٨٣، وينظر: مناهل العرفان، ١/٤٢٠، دلالات التقديم والتأخير في القران الكريم دراسة تحليلية، ٣٥.

[٢٨] التعريفات للجرجاني: ٥٧.

[٢٩] سورة عبس: الآية /١.

[٣٠] التحرير والتنوير: ١٥/ ١١٣.

[٣١] سورة التوبة: الآية/ ٤٣.

[٣٢] التحرير والتنوير: ١٥/ ١٠٥.

[٣٣] سورة عبس: الآية/ ٣-٤.

[٣٤] الكشاف: ٤/ ٢١٨.

[٣٥] المصدر نفسه: ٤/ ٢١٨.

[٣٦] سورة عبس: الآية/ ٥-١٠.

[٣٧] سورة عبس: الآية/ ١٩.

[٣٨] ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ١٢٥.

[٣٩] سورة عبس: الآية/ ٢٠ -٢٢.

[٤٠] سورة عبس: الآية/ ٢٢.

[٤١] سورة عبس: الآية/ ٢٤ – ٢٧.

[٤٢] سورة عبس: الآية/ ٢٧ – ٢٩.

[٤٣] سورة عبس: الآية/ ٣١ – ٣٢.

[٤٤] ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ١١٦.

[٤٥] سورة عبس: الآية/ ٣٢.

[٤٦] سورة عبس: الآية/ ٢٤.

[٤٧] سورة عبس: الآية/ ٣٢.

[٤٨] سورة عبس: الآية/ ٣٢.

[٤٩] سورة السجدة: الآية/ ٢٧.

[٥٠] سورة السجدة: الآية/ ٢٧.

[٥١] ينظر: معترك الأقران للسيوطي (١٣٢). والكشاف: ٣/١٠١. والتقديم والتأخير في القران الكريم، ص٦.

[٥٢] سورة عبس: الآية/ ١١ – ١٤.

[٥٣] ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ١١٦.

[٥٤] سورة عبس: الآية/ ١٥- ١٦.

[٥٥] ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ١١٦.

[٥٦] سورة عبس: الآية/ ٦.

[٥٧] تفسير الشريف الجرجاني حاشية على الكشاف: ٤/ ٢١٧.

[٥٨] سورة عبس: الآية/ ١٠.

[٥٩] الكشاف: ٤/ ٢١٨، وينظر: غرائب القرآن للواحدي على تفسير الطبري: ٣٠/ ٢٨.

[٦٠] التحرير والتنوير: ١٥/ ١٠٨.

[٦١] ينظر: غرائب القرآن للواحدي حاشية على تفسير الطبري: ٣٠/ ٢٨.

[٦٢] ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ١٠٧ ، ١٠٨.

[٦٣] التحرير والتنوير: ١٥/ ١٣٦.

(٦٤) سورة عبس: الآية/ ٣٨ – ٤١.

(٦٥) التحرير والتنوير: ١٥/ ١٣٧.

(٦٦) سورة عبس: الآية/ ٣٣ – ٣٧.

(٦٧) سورة عبس: الآية/ ٣٧.

(٦٨) الكاشف: ٤/ ٢٢٠، وينظر: التبيان لابن الزملكان:١٤٩–١٥٠، والبلاغة والأسلوبية، ٢٨٥، والخصائص، ١٣١–١٣٢.

(٦٩) فتح التقدير: ٤/ ٣٨٥.

(٧٠) غرائب القرآن للواحدي حاشية على الطبري: ٣٠/ ٣٠، وينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ١٣٥.

(٧١) سورة عبس: الآية/ ٢٤.

(٧٢) التحرير والتنوير: ١٥/ ١٢٨.

(٧٣) سورة عبس: الآية/ ١١–١٢.

(٧٤) معجم مقاييس اللغة: ١/ ٧٠.

(٧٥) المصدر نفسه: ١/ ٧٠.

(٧٦) سورة عبس: الآية/ ١–٢.

(٧٧) اعراب القرآن، محيي الدين الدرويش، ٨/ ٢١٨.

(٧٨) سورة عبس: الآية/ ٤١.

(٧٩) ينظر: مشكل اعراب القرآن لابن قتيبة: ٢٧٥، البحر المحيط: ٨/ ٤٢٥.

(٨٠) سورة الإنسان: الآية/ ٢٠.

(٨١) سورة الإنسان: الآية/ ٣.

(٨٢) معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٣٩، وينظر: البحر المحيط: ٨/ ٤٢٩.

(٨٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ١٢٤.

(٨٤) سورة عبس: الآية/ ٦.

(٨٥) سورة عبس: الآية/ ١٠.

(٨٦) الكشاف: ٤/ ٢١٨ .

(٨٧) سورة عبس: الآية/ ١٩.

(٨٨) السؤال المعني هنا قوله تعالى: {مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} سورة عبس: الآية/ ١٨.

(٨٩) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ١٢٢.

(٩٠) المصدر والصفحة نفساهما.

(٩١) سورة عبس: الآية/ ٣٧.

(٩٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ١٠٧.

(٩٣) سورة عبس: الآية: ٣٨ – ٣٩.

(٩٤) معاني القرآن واعرابه: ٥/ ٢٨٥.

(٩٥) سورة عبس: الآية/ ٤٠ – ٤٢.

(٩٦) التحرير والتنوير: ١٥/ ١٣٨.

(٩٧) سورة عبس: الآية/ ٤٢.

(٩٨) التحرير والتنوير: ١٥/ ١٣٨.